جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : أ.م.د. اسماء سمير
اسم المادة : نظريات التطور في الفنون
عدد الوحدات : (١)
تسلسل المحاضر: الثالثة ٢٠٢٤/٣/٥
عنوان المحاضرة : الفرق بين التطور في العلوم والتطور في الفنون

الفرق بين التطور في العلوم والتطور في الفنون

ان التراتبات الهرمية للعقل الميتافيزيقي فرضت على الفن مرتبة ادنى لانتماءه الى منطقة الخيال اوالماديات بينما قدمت العلوم كمرتبة اولى لانتماءها الى منطقة العقل ، وهو ما استدعى تصنيف الافلاطونية للمعرفة ضمن مرتبتين الاولى تتعلق بعالم المعقولات والثانية بعالم المحسوسات ، ولما كان الفن ينتمي الى عالم المحسوسات فهو معرفة مخادعة وظلال لعالم الصور يستثني من ذلك الفن المنضبط بمعرفة رياضية . وقد حاول ارسطو رد الاعتبار للمعرفة الحسية والفنون عندما وازن بين المعقول والمحسوس . وفقاً لذلك تباينت ان المواقف الفلسفية وتضاربت حول العلاقة بين العلم والفن وخصائص وشروط تطورهما : وهل الفن قابل للتطور بفعل الاكتشافات وحركة الفكر التراكمية كما يحدث في مجال العلم ام تحمل كل مرحلة خصائصها بذاتها ؟ وللاجابة على تلك التساؤلات تقتضي الضرورة المعرفية فهم طبيعة وخصائص كل من العلم والفن

العلم والفن (المفاهيم والخصائص)

العلم Science هو فعل المعرفة والعقلنة ، بمنهج واختبار ، ولهدف عملي ... هو المعرفة او الادراك ، انه معنى متعلق بالمعرفة وبالمعلوم [١] عند أفلاطون العلم يعني اعلى درجة من درجات المعرفة وهي الفكر الاستدلالي وهو المعرفة الكاملة ، أمّا عند أرسطو العلم منوط بمعرفة غاية كل موجود وإدراك الماهية اي المعرفة الكلية التي هي كلية بالقوة وتصير كلية بالفعل متى التفت العقل الى جزئياتها الحقيقية والممكنة ... وعند ديكارت العلم يطلق على مجموعة المعارف التي تتسم بالوحدة والعمومية وقادرة الى ايصال البشر الى نتائج خالية من المواضعات والامزجة والمنافع الذاتية وناشئة عن علاقات موضوعية نتاكد من صحتها بمناهج التحقيق[٢] كما قدمت المعاجم الفلسفية العلم على انه نسق من المعارف الّتي ترتبط بعضها ببعض ارتباط النّتائج بالمقدّمات في الاستدلال السّليم . ففي العلم .. تستخلص قضايا كليّة أو جزئيّة معيّنة من عدد قليل من المبادئ والقوانين بعد

[١]) خليل احمد خليل: معجم المصطلحات الفلسفية ، دار الفكر اللبناني ، ط١. بيروت - لبنان . ١٩٩٥، ص١٢٧
[٢]) مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ص ٤٦٥-٤٦٦

تقديم الفرضيات الواجب التحقق من مصداقيتها [1] " نستخلص من ذلك ان خصائص ومحركات المعرفة العلمية تقوم على

١- المعرفة العقلية المنطقية

٢- التجريب وتراكم الخبرة

٣- الانتقال من الجزئيات الى الكليات .

واذا كان العقلنة والمنطق خاصية العلم فان خاصية الفن الاحساس والرغبات الانسانية واذا كان العلم يتعلق بمتوالية فكرية وفرضيات يسعى العقل لاثباتها والتحقق من صحتها فأن الفن يتعلق بصناعة الصور وايجاد المعادلات الصورية للوجود بشتى الطرق على ذلك جاء تعريف " هيجل للفن على انه مجموعة الطرق المستعملة في صنع شيئ بهذا المعنى يتعارض الفن مع العلم بوصفه معرفة خالصة " [2] واذا كانت مثالية هيجل وضعت الفن ضمن خانة المعرفة الخالصة فأن مادية ماركس تعيد الفن لخانة المعرفة المكتسبة ليقدم الفن على انه شكل نوعيّ من أشكال الوعي الاجتماعي والنّشاط الإنساني ، يعكس الواقع في صورٍ فنيّة ، وهو واحد من أهمّ وسائل الاستيعاب والتّصوير الجمالي للعالم . بهذا تتحرك المعرفة الجمالية ضمن الاتي :

١- المعرفة الذاتية

٢- ابتكار وصناعة الصور

وبغض النظر عن الجدلية القائمة بين المثالية والمادية في تحديد معنى الفن وخصائصه يمكن تحديد الفن بأبسط تعبير كوسيلة من وسائل الاستيعاب والاستجابة الجمالية للعالم وهذه نسبية تختلف بحسب شروط الانتاج الفني لكل عصر ومحركاته وهو ما استدعى خصوم فكرة تطور الفنون الفصل العلاقة بين العلم والفن تحت مبررات اهمها هو ان الفنون لا تخضع للتراكم في تطورها كما هو الحال في مجال العلوم بل قد تقطع مع ما سبقها مؤسسةً لرؤية جديدة " فالفن يدأب دائماً الى البدأ من البداية . بينما العلوم تحتفظ لنفسها بمكتشفات الاجيال السابقة وتضمها اليها ، فيقال لنا ان العلوم تتراكم وتنمو على مر العصور ، بينما الفنون ليست بطبيعتها قابلة للتراكم . على ان هذه الحجة لا تنكر التطور الثقافي باسره . كما ان بعض من يدفعون بها يوافقون على ان التطور يحدث في المجالات الثقافية خارج الفنون " [3] اذن النقطة الخلافية بين العلم والفن هو ان الاول يتطور

---

[1]) معن زيادة : الموسوعة الفلسفيّة العربيّة : المجلد الاول ،معهد الإنماء العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٦٠٨

[2]) خليل احمد خليل : معجم المصطلحات الفلسفية مصدر سبق ذكره ، ص١٤١

٣) توماس مورو : التطور في الفنون ، نر. محمد علي ابو درة واخرون ، مز احمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ج١، ١٩٧٢ . ص ٩

وفقاً للخبرة التراكمية بينما الفن يقطع مع السابق ليبدأ من جديد لذا قدم معارضي فكرة التطورية في الفن مجموعة مؤسسات للتميز بين الفن والعلم من اهمها :

١- لا بد للفن من ان يواصل الابتداء من جديد او العودة الى نقطة الابتداء بينما لا ينطبق هذا على العلم .
٢- الفن لا يحتفظ بمنجزاته السابقة ولا يضمها اليه اثناء مضيه في سبيله فكل عمل فني او اسلوب يحمل جدته بذاته في حين ان العلوم تضم اليها مكتشفاتها بأطراد .
٣- الاعمال الفنية لا تهجر فهي ذات سمة تواصلية من جيل الى اخر محتفظة بقيمتها الى ما لا نهاية ، بينما الاعمال العلمية تستبدل كلما ثبت بطلانها او استحدثت اكشافات جديدة .
٤- مناهج الفنون تختلف عن مناهج العلوم ، فالاولى انفعالية خيالية وذاتية ولا عقلانية بينما مناهج العلوم منطقية وموضوعية وعقلانية .
٥- الفن يعالج القيم بينما العلم يعالج الحقيقة .
٦- ان مجال عمل الفنون هو الجزئيات في حين ان مجال العلوم هو العموميات او الكليات [١] .

وفقاً لتلك المبررات يبدو ان قانون التطور في العلوم يختلف عن قانون التطور في الفنون فأذا كان الاول تراكمياً فأن الثاني يتبع ممارسة تجديدية تتضمن حذف او اضافة مع كل مرحلة تاريخية على ان تلك الخاصية تؤكد تراكمية الفن يعزز ذلك " قاموس وبستر في تفسير لفظة تراكمي على انه كل ما يتشكل ويكبر حجمه بأضافات متعاقبة وبهذا المعنى تصبح الفنون تراكمية . كما ظلت على هذه الحال طوال تاريخ الحضارة بأسره " [٢]

ان الفن بوصفه احد الحقول المعرفية فهو لا ينفصل عن العلوم المجاورة فمع تضخم فاعلية العقل والاكتشافات العلمية نجد ان للفن حركة مساوية يترتب عليها تطور وانتقال ابسط مثال على ذلك انتقال الفن في عصر النهضة الذهبي من خانة الماورائيات الى خانة الانسانية والواقع بفعل انفتاح الفن في تلك الفترة على الاكتشافات العلمية كعلم التشريح والمنظور التي عززت الاشكال بنزعة انسانية اقتربت من الواقع كما في الشكلين ادناه حيث تميزت فنون عصر النهضة المبكر بنوع من المثالية والجمود كما في لوحة العذراء والمسيح للفنان تشيمابويه التي تميزت بالتبسيط والتسطيح حفاظاً على رمزية الاشكال وقدسيتها شكل (١) بينما اتسمت فنون عصر النهضة الذهبي

[١]) توماس مونرو : التطور في الفنون مصدر سبق ذكره ، ص ٩-١٠
[٢]) نفسه ص١٧

بنوع من الواقعية كما في لوحة مايكل انجلو التي تميزت بمراعاة النسب والعلاقات العضوية للجسد استجابة لتطبيق نظريات علم المنظور والتشريح ومن جانب اخر منح الاشكال طابعاً واقعياً بما يؤكد ان الفن لا يقطع مع انجازاته السابقة بل قد يضيف او يحذف تبعاً لحركة الفكر المستمرة وهو ما يبرر التنوع في الاساليب والحركات الفنية على مر التاريخ بما يؤكد نظرية داروين التطورية عندما فسر التطور بعملية تغيير وانتقال من الاشكال البسيطة الى الاشكال المركبة والاكثر تعقيد بما يضع الاشكال والظواهر امام تنويعات مستمرة بما يمكن معه القول ان ما وصلت اليه الفنون المعاصرة ما هي الا امتداد تراكمي لفعل الانسان البدائي واليات استقباله واستجابته للمحيط الخارجي .

شكل (١) تشيمابويه العذراء والمسيح

شكل (٢) مايكل انجلو العائلة المقدسة